دولة الفلاسفة

"آراء أهل المدينة الفاضلة" اسم لكتاب من كتب الفارابى يكاد يشتمل على مذهبه الفلسفى كله؛ فى نصفه الأول آراؤه فى الإلهيات التى تجدها مركزة فى كتاب "عيون المسائل" وكذلك آراؤه فى النفس الإنسانية وما لها من قوى مختلفة. وفى نصفه الثانى موجز لمذهبه فى الأخلاق وبسط لنظريته فى السياسة.

ويمتاز الفارابى من بين فلاسفة الإسلام جميعًا بأنه عالج البحث فى السياسة من الناحية الفلسفية الخالصة. فالتفكير السياسى فى نظام الدولة، وتصور المثل الأعلى للحكم، ووضع المواطنين الخلقية والمقاييس السياسية، وتحديد الغاية من الحاكم والمحكوم، ونقد المجتمع الذى يؤدى إلى الشرور والمفاسد. كل هذه من المسائل التى انفرد الفارابى بالبحث فيها والتى تدل على قوة الشخصية واستقلال الرأى.

وقوة الشخصية شرط أساسى للتفكير السياسى؛ لأن الفرد إذا شعر بشخصية له مستقلة عن الدولة، وضع نفسه فى وضع مقابل لها، فبحث فى نظامها وما فيه من خير وشر، وحكم له أو عليه، وحاول أن يرسم منهجًا لنظام الحكم على الوجه الذى يرى فيه خير المجتمع.

و"المدية الفاضلة" اسم أطلقه الفارابى على المثل الأعلى للحكم، ويريد به المدينة التى تحقق لأعضائها السعادة القصوى فى الدارين.

والسعادة فى نظر الفارابى هى الخير الأسمى المطلوب لذاته، فليس

يفضلها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان. وهى لا تتحقق إلا بالعلم والعمل. ولا يستطيع الإنسان أن يفهم ما هى السعادة إلا إذا عرف ما هى الفضيلة. والفضيلة فى ذاتها لا تفهم إلا بدرس النفس الإنسانية وما لها من قوى مختلفة.

ولهذا يبدأ الفارابى بالكلام على النفس فيبين أن لها قوى الغاذية التى تخدم البدن، والحاسة والمتخيلة وهما تخدمان البدن أيضًا القوة الناطقة.

ثم يقسم الفارابى القوة الناطقة إلى عملية ونظرية، ويقول أن النظرية هى التى يتوصل بها إلى السعادة.

وهذه القوى جميعًا تقترن بالقوة النزوعية، فإن الإحساس والتخيل والروية ليست كافية فى أن تفعل دون أن يقترن بها تشوق إلى ما أحسه الإنسان أو تخيله أو روى عقله فيه، وأنت بما لك من إرادة تنزع إلى ما أدركت وتشتاق إليه. فإذا علمت بقوتك النظرية ما هى السعادة، ونصبتها غاية لك وتشوقت الوصول إليها بالقوة النزوعية، واستنبطت ما ينبغى ان تفعل بالقوة الناطقة أو المروية، وأقبلت على ذلك بمعاونة القوة المتخيلة والحواس ثم فعلت بالآلات القوة النزوعية الأفعال الجميلة، كانت أفعالك كلها خيرات.

أما إذا لم تعلم ما هى السعادة، أو علمتها ولم تجعلها غاية لك، كانت أفعالك كلها أفعالا غير جميلة.

والسعادة التى يقصدها الفارابى سعادة غقلية لا تتحقق إلا بالفضائل النظرية أى علوم الحكمة التى غايتها معرفة الموجودات، وبالفضائل الفكرية

التى تستنبط الأمور الإرادية، والفضائل الخلقية التى تميز الجميل والقبيح من الأفعال.

والفضيلة الخلقية فى نظر الفارابى تكتسب كما تكتسب الرذيلة.

والقانون الخلقى من القوانين العامة عند أهل الملة، وحسبك أن تتعرف نفسك لتدرك أن الفضيلة وسط بين نهايتين: فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين الإسراف والبخل، وانحراف الإنسان إلى إحدى النهايتين مرض نفسانى يعالج كما تعالج أمراض البدن بتوجيه النفس إلى النهاية المقابلة لها.

وتحقيق هذه الفضائل جميعًا إنما يحقق جانبًا من السعادة ولكنها لا لا تستكمل إلا بالاجتماع. فالإنسان مدنى بطبعه أنسى بغريزته، يحتاج إلى الاجتماع والتعاون. ولا يبلغ الكمال إلا باجتماع جماعات كثيرة يقوم كل واحد من أفرادها للآخر ببعض ما يحتاج إليه فى قوامه.

والكمال الأقصى إنما ينال أولا بالمدينة إلا بالاجتماع الى هو أنقص منها والمدينة التى يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأنبياء التى تنال السعادة هى المدينة الفاضلة. والأمة التى تتعاون مدنها على ما تنال به السعادة هى الأمة الفاضلة.

يقول الفارابى:

"إن المدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذى تتعاون أعضاؤه على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه.

وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو

واحـد رئيس هو القلب، كذلك المـدينة أجزاؤها مـختلفـة الفطرة مـتفـاضلة الهيئات وفيها إنسان هو الرئيس".

ويقسم الفارابى المدينة الفاضلة إلى طبقات أعلاها الرئيس ويتلوه آخرون ينفذون سياسته، ودونهم غيرهم إلى ان ينتهى إلى طبقة لا شأن لها فى المدينة إلا الطاعة وتنفيذ ما يراه من هم فوقها فى المرتبة.

ويضع الفـارابى لرئيس المـدينة الفـاضلة شـروطًا فـينبـغى أن يكون له استـعداد فطرى للرياسة، وأن يكون من يتـصلون بالعقل الفعـال ويتلقون منه الوحى والإلهام عن طريق القوة الناطقة فيكون حكيمًا فيلسوفًا، أو عن طريق القوة المتخيلة فيكون نبيا منذراً.

ولرئيس المدينـة خصـال: هى أن يكون تـام الأعضـاء، جـيـد الفـهم والتصور، جيد الحفظ والفطنة، حسن العبارة محبًا للعلم، غير شره فى الماكل والمشروب والمنكوح، متـجنبًا اللعب، مبغضًا للذات، محـبًا للصدق وأهله، مبغـضًا للكذب وأهله، كبير النـفس، محبا للكرامة، مـحبًا للعدل، مبـغضًا للجور والظـلـم وأهلهما، سلس الـقياد إذ دعى إلى العـدل، قوى العـزيمة، جسوراً لا يخاف.

هذه هى خصال الرئيس الأول. وليس من السهل أن تجمع هذه الخصال كلهـا لإنسان، فـإنه لا يوجد "من فطر هذه الفطرة إلا الواحـد بعد الـواحد والأقل من الناس".

هنا يجيـز الفارابى أن يراس المدينة من اجتمـعت فيه من مولـده وصباه ست شـرائط هى: أن يكون حكيمًـا، حـافظًا للشرائع، وأن يكون له جـودة

روية، متحريًا صلاح المدينة، وجودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وجودة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب.

"فإذا لم يوجد إنسان اجتمعت فيه هذه الشرائط، ولكن وجد أن اثنان أحدهما حكيم والثانى فيه الشرائط الباقية" كانا رئيسيين يكمل كل منهما الآخر.

ولكن ينبغى أن يكون متلائمين، فالالتئام بين الأفاضل شرط من شروط الحكم.

أما إذا اتفق فى وقت ما أن لم تكن الحكمة ممثلة فى الرياسة فإن المدينة تكون عند ذاك بلا ملك صحيح، ولا يعد من يقوم بالأمر فيها ملكًا على الحقيقة.

هذه هى المدينة الفاضلة فى نظر الفارابى.

وهناك مدن تضاد المدينة الفاضلة ويسميها الفارابى المدن الجاهلية والفاسقة والمتبدلة والضالة.

والمدينة الجاهلية هى التى لم يعرف أهلها السعادة، وإنما عرفوا بعض الخيرات، كسلامة البدن، واليسار، والتمتع باللذات، وأبهة العيش، فحسبوا أن هذه السعادة الحقة وهى ليست إلا سعادات ظاهرية. وهذه المدن على ضروريات الحاية مما به قوام البدن من مأكول ومشروب وملبوس.

ومدينة التبادل: وهى التى يتبادل أهلها التعاون على الثروة وهى غايتهم فى الحياة.

ومدينة الخسة: وهى التى قصد أهلها التمتع باللذة من طريق الحس والخيال مؤثرين أهلها الهزل واللعب.

ومدينة التكريم: وهى الى قصد أهلها وضع نظام يحتم أن يكون كل فرد من أفرادها مكرمًا بين أفراد هذه المدينة أو المدن الأخرى. ومدينة التغلب: وهى التى قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم، والمدينة الإباحية وهى التى يريد كل واحد من أهلها أن يكون على هواه.

وهناك مدن أخرى كالمدينة الفاسقة فهى تعرف كل ما تعرفه المدينة الفاضلة وتعتقد ما تعتقده ولكن أفعالها تكون على عكس أفعال أهل المدينة الفاضلة وهؤلاء شر من أهل المدن الجاهلية.

والمدينة المبدلة وهى التى كانت آراؤها وأفعالها هى آراء وأفعال أهل المدينة الفاضلة ولكنها غيرت خطتها فتبدلت معرفتها.

والمدينة الضالة: هى التى تعتقد بوجود سعادة أخروية ولكنها مع هذا تعتقد فى الموجود الأول وفى العقول الثوانى والعقل الفعال اعتقادات فاسدة غير صحيحة.

***

بينا نظرية الفارابى فى المدينة الفاضلة وأنت ترى أن الشرائط التى وضعها لرئيسها تجعل الملك للفلاسفة، وهو فى هذا يتفق مع رأى أفلاطون الذى فصله فى كتاب الجمهورية.

على أن الفارابى يخالف أفلاطون فى صفات الرئيس فهو عنده الفيلسوف الكامل والنبى. وهذا أثر من آثار الدين لا نجده عند أفلاطون.

ولقد ذهب الفـارابى أيضًا إلى جواز الاشتـراك فى الرياسة، ولعل هذا الرأى صدى لما كان موجـودًا فى عصره. فإن الراضى بالله (٩٣٤ - ٩٤١ م) هو أول خليفـة أنشأ رتبـة أمير الأمـراء فأضعف بهـذا اسلطته وعـرض أمور الخلافة للفتن والدسائس. وكان أول من تقلد هذا المنصب إلى جانبه ابن رائق التركى.

***

obeikandl.com

ثبت المراجع

إبراهيم أمين أسرة الصولى - مخطوط بمكتبة الجامعة

إبراهيم مدكور النبوة عند الفارابى - مجلة الرسالة سنة ١٩٣٦

ابن أبى أصيبعة عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ و ٢

ابن أبى الربيع. شهاب الدين المسالك فى تدبير الممالك. الطبعة الأولى. مصر

ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ ٧ و ٨ ليون.

ابن الأنبارى نزهة الألبا فى طبقات الأدباء. مصر

ابن جنى الخصائص جـ ١. مصر سنة ١٩١٣

ابن حوقل المسالك والممالك - بريل سنة ١٨٧٢

ابن خرداذبة المسالك والممالك - بريل سنة ١٨٨٩

ابن خلدون المقدمة - بيروت سنة ١٩٠٠

ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ١ و ٢.

ابن رشد فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.

ابن سينا الأنماط الثلاثة الأخيرة من كتاب الإشارات - ليدن سنة ١٨٩١

كتاب الشفاء. مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٦ حكمة منطق المشرقيين - طبع المطبعة السلفية.

النجاة جـ ١ و ٢ - طبع مصر

تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات - القسطنطينية سنة ١٢٩٨

ابن نباته شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدن - مصر سنة ١٢٧٨

ابن النديم الفهرست - مصر سنة ١٣٤٨

ابن هشام السيرة النبوية - مصر

أبو المحاسن إشارة التعيين فى تراجم النجاة واللغويين - مخطوط بدار الكتب رقم ١٦١٢ تاريخ.

إخوان الصفا الرسالة الأولى فى الآراء والديانات

الرسالة السادسة فى ماهية الناموس الإلهى وشرائع النبوة - طبع الهند

الأنصارى إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد - بيروت

البغدادى الفرق بين الفرق - القاهرة

البيهقى، ظهر الدين تاريخ حكماء الإسلام

مخطوط بدار الكتب رقم ٣٧٤١ تاريخ

التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ و ٢ - طبع الهند

الجاثليق. أبو الفرج تفسير القاطيغورياس - مخطوط بدار الكتب رثم ٢٤٨ حكمة

جورجى زيدان تاريخ أدب اللغة العربية جـ ٢ - مصر

تاريخ التمدن الإسلامى - مصر

obeikandl.com

حاج خليفة كشف الظنون

حمد الله المستوفى نزهة القلوب

الرازى محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - الطبعة الأولى

سانتللانا تاريخ المذاهب الفلسفية - مصور بمكتبة الجامعة

الشهرزورى نزهة الأرواح وروضة الأفراح - مصور بمكتبة الجامعة

صاعد التعريف بطبقات الأمم - بيروت سنة ١٩٩١

طاشكبرى زادة مفتاح السعادة ومصباح السيادة جـ ١ و ٢

الفارابى مؤلفات الفارابى

القفطى إخبار العلماء بأخبار الحكماء - ليبسيك

إنباء الرواة بأنباء النحاة - مخطوط بدار الكتب

القنوجى أبجد العلوم جـ ٢ - الهند

محمد فريد وجدى دائرة معارف القرن العشرين جـ ٧

محمد متولى يعقوب الكندى فيلسوف العرب، مخطوط بمكتبة الجامعة.

المسعودى التنبيه والإشراف - ليدن ١٨٩٣

مصطفى عبد الرازق باشا الحكم أبو نصر الفارابى (مجلة المجمع العلمى العربى) مجلد ١٢

- الوحى فى الإسلام مخطوط

obeikandl.com

المقدسى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - بريل ١٨٨٩

نللينو علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى - روما ١٩١١

ياقوت - معجم البلدان - أوروبا

- معجم الأدباء - أوروبا

يوسف كرم - المعرفة عند أفلاطون - مخطوط

***

obeikandl.com

المصادر الأوربية

Aris tote Oeuvres Comples - trad. St. Hilaire.

Barker Greek Political Theory, 1925

Brokelmann Geschichte der Arabischen Litteratur.

Carra d Vaux Avicenne

Les Penseurs de l,Islam

Casiri Bebliothica Aarbico - Hispana Escurialeusis

De Boer History of Philosophy in Islam

De Sassy, Oleary Arabic Thought and its place in history.

Farmer, G. The influence of Farabi,s Book "Ihsa" al auloum on the writers on

Music, Jour. Roy. As. So,. July 1931

Gilson Les Sources Greco Arabe de l Augustinisme - Avicennisant, Arch. d,hist. doct. Du Moyen Age, T. 4.

Horten Des Buch der Ringstein Farabis

Land Recherche sur l,histoire de la Gamme Arabe.

Macdonal Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory, 1926

obeikandl.com

Maimonide Guide des Egares, 1856 -٦٦

Massigion de Intellectu d,Al Farabi, Arch. d Hist. doct. T. 4.

Munk Melanges de la Philosophie Juive et Arabe, 1859

Plato The Repblic.

The Laws

Steinschneider Al Farabi, die Arabischen Philosophen Leben und Schriften, 1869.

obeikandl.com